إسهامات عبد الكريم الفكون القسنطينيّ في تفعيل التّلاقح الثّقافيّ في الحواضر المغاربيّة في العهد العثمانيّ

Contributions of Abd al-Karim al-Fakun al-Qasentini in activating cultural cross-fertilization in the cities of the Maghreb during the Ottoman era

د. عويدان مسعودة♥

تاريخ الاستلام: 17-07-2022 تاريخ القبـول: 31-07-2024

ملخّص: اشتهرت مدينة قسنطينة بنخبة من رجال العلم والفقه والأدب، رفعوا اسمها إلى مصاف الحواضر الثّقافيّة المغاربيّة الكبرى، ومن بين هؤلاء أفراد أسرة الفكون، الذين أسهم عدد منهم في الحركة الفكريّة، وذاع صيتهم في العالم الإسلامي آنذاك وعلى رأسهم **عبد الكريم الفكون** القسنطيني المولود سنة 1588م المتوفى سنة 1663م، كان **عبد الكريم الفكون** صوفيا عالما، اعتمد على نفسه وعائلته في تكوين نفسه، فقد جمع بين الصّلاح واستقامة السّيرة وبين التّدريس، والتّأليف مع رفضه تولي مناصب سياسيّة لصالح الأتراك فكان بحق أحد أهم أعلام قسنطينة والجزائر، وما يثير الانتباه علاقته الحسنة مع كثير من العلماء المعروفين، مثل أحمد المقري، محمد بن ناجي، محمد بن

♥جامعة عباس لغرور، الجزائر، البريد الإلكتروني: habiba.aouid@gmail.com، (المؤلّف المرسل).

الموهوب، محمد وارث الهاروني، علي بن عثمان الزّواوي، إبراهيم الغرياني وغيرهم.

الكلمات المفتاحيّة: عبد الكريم الفكون؛ قسنطينة؛ المراسلات؛ تونس؛ الجهود؛ المغرب.

Abstract: Constantine city was famous for a group of scholars, scholars and literature, raising its name to the greater Moroccan cultural cultural center of Al-Hawadah among them members of the Falcon family. The first of these is the creation of a new and new world, which is the first of which is the creation of a new world. The formation with his refusal to hold political positions for the Turks, was against a mass media of Constantine and Algeria in general and what is attracting attention his good relations with many well-known scholars, such as Sheikh Belghit Al-Qashash, Abi Al-Abbas, Hamedah Bin Badis, Ahmad Al-Maqri Mohammad Bin Nagy, Mohammad Bin Al-Mahub Mohamed and Arth Al-Harouni. Ali bin Uthman al-Zawawi Muhammad Taj al-Aharvin al-Othmani, Ibrahim al-Ghariani and others. This search seeks answers

Key words: Abdel Karim Al-Fkun; Constantine; correspondence; Tunisia; efforts; Moroccan.

مقدّمة: شهدت الجزائر في العهد العثماني ركودا ثقافيا شأنها شأن باقي الدّول العربيّة؛ حيث لم تعرف حركات تجديد فكريّة ولا نهضة علميّة، بالرّغم من أن العربيّة ظلت لغة التّعليم ولغة الشّعب، فإنّ الدّولة قد اتخذت التّركيّة لغة رسميّة، ولم ينحصر إنتاج اللّغة العربيّة على الموضوعات الدّينيّة والتّعليميّة وقليل من الشّعر، فقد أرخت كتب الرّحالة الذين حلوا بالجزائر إبان الفترة العثمانيّة إلاّ أنّ التّعليم كان منتشرا في الجزائر، فقد كان سكان كل قريّة ينظمون بطرقهم ووسائلهم الخاصّة تعليم القرآن والسّنة. أمّا المراكز الثّقافيّة

المفعلة في ذلك العهد تتمثل في المدارس والمساجد والزّوايا، ففي المرحلة الأولى يركزون على تعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن في المساجد أمّا في المرحلة الثّانيّة "يقبلون على تعلّم دراسة النّحو واللّغة والفقه، ثم ينتقلون إلى المرحلة الأخيرة فيدرسون العلوم الدّينيّة والعلوم العقليّة والاجتماعيّة والآداب بالتّفصيل.

أسهم العديد من علماء وشعراء الجزائر في السّمو بتاريخها وموقعها الذي لا يستهان به، "فأبدعوا في كتاباتهم الشّعريّة والنّثريّة المختلفة من مقامة ورسالة بنوعيها الخطابة والإجازة؛ إلاّ أنّ هذه الأجناس الأدبيّة كانت نادرة واختلفت من كاتب لآخر، خاصّة عندما يتعلق الأمر بالفترة العثمانيّة التي ضاع معظم انتاجاتها"[1]، بعد أن طالها التّلف تارة والتّهريب تارة أخرى. ورغم ذلك فقد تمخض عن هذه الفترة العديد من الأدباء والكتاب، الذين واكبوا العصر بكل إيجابياته وسلبياته؛ فظهرت بذلك كوكبة من الكتاب نذكر منهم عبد الكريم الفكون الذي يمثل قيمة علميّة سامقة جمع بين الصّلاح واستقامة السّيرة، وبين التّدريس والتّأليف مع رفضه تولي مناصب سياسيّة لصالح الأتراك؛ فكان بحق أحد أعلام قسنطينة والجزائر عموما وتهدف هذه المداخلة إلى إماطة اللثام عن هذه الشّخصيّة الهامّة خلال هده الفترة الحساسة من فترات تاريخ الجزائر وتسليط الضّوء على انجازاتها العلميّة لمعرفة مكانتها في ذلك العهد، وانسجاما مع موضوع البحث تم تقسيم المداخلة إلى خمسة محاور هي:

1-الأوضاع الثّقافيّة في قسنطينة خلال العهد العثماني.

2-العلامة عبد الكريم الفكون.

3-المكانة العلميّة لعبد الكريم الفكون في عيون الجزائريين.

4-إسهاماته العلميّة والفكريّة في إثراء المكتبة العربيّة الجزائريّة والعربيّة عمومًا.

5-الصّلات الثّقافيّة مع علماء تونس والمغرب.

وبناء عليه تسعى ورقتنا البحثيّة إلى الإجابة على عدة أسئلة نذكر منها:

1-كيف استطاع عبد الكريم الفكون أن يحتل مكانة علميّة مرموقة؟

2-ما هي أهم إسهاماته الفكريّة؟

وما مدى فاعليّة إسهاماته العلميّة على الحواضر المغاربيّة؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة اتبعت المنهج التّاريخي ومنهج أداة الوصف والتّحليل وقد اعتمدت في سبيل إنجاز هذا المقال على جملة من الدّراسات السّابقة منها: دنيّة فاطمة الحركة الأدبيّة في الجزائر خلال العهد العثماني رسالة مقدّمة لنيل دكتوراه في الآداب واللّغة العربيّة، ورسالة بلحاج محمد مخطوط النّجم الثّاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب دراسة وتحقيق، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، الحضارة الإسلاميّة.

2- الأوضاع الثّقافيّة في قسنطينة خلال العهدين الحفصي والعثماني: تعد قسنطينة إحدى كبريات مدن المغرب الأوسط، فهي مدينة العلم والعلماء، عرفت بتاريخها العتيق منذ نشأتها، خاصّة في "العهد الحفصي فقد ذكر ابن القنفذ أن الأمراء كانوا يقدرون العائلات العريقة والعلماء ووجهاء القوم ويحترمونهم، كما كانوا يفضلون الإقامة بقسنطينة دون غيرها ويقتربون من السّكان لدرجة أنّهم يعرفونهم بالعين والاسم"[2]، لذلك تبلورت فكرة النّهضة العلميّة والثّقافيّة في العهد الحفصي لم تشهد قسنطينة لها مثيلاً من قبل، "فقد انتشر بها التّعليم بواسطة الكتاتيب والمدارس والجوامع والزّوايا؛ كما التّف بنو قسنطينة كغيرهم من أبناء حواضر المغرب، حول جامع الزّيتونة وبيت الحكمة، ومعهد القيروان لمتابعة دروسهم، والاستفادة من شيوخها وعلمائها والتّعليم في المدارس النّحويّة واللّغويّة والفقهيّة والعلميّة التي عرفتها الدّيار التّونسيّة وقراءة الكتب التي أنتجها ذلك

العصر كتفسير محمد بن لسلام، ومدونة سحنون، وآداب المعلمين لمحمد سحنون"[3]، وبذلك تفوقت قسنطينة على مدينتي تونس وتلمسان، فتمكنت من اعتلاء مكانة ثقافيّة هامّة جعلتها مركز إشعاع حضاري طيلة قرون عديدة فظهرت بها أسر حملت مشعل العلم والمعرفة منها أسرة الحسن بن الفكون التي توارثت أفراد عائلته عنه العلم، وغيرهم.

اكتسبت مدينة قسنطينة أهميّة كبيرة في العهد العثماني بسبب عدة عوامل منها أنّها مدينة داخليّة بعيدة عن غارات العدو البحريّة التي اتسمت بها هذه الفترة. "وبعد قسنطينة عن العاصمة جعل حكامها شبه مستقلين عن السّلطة المركزيّة وكذا قربها من تونس"[4]؛ فقد كانت الصّلات الثّقافيّة بين قسنطينة وتونس على أحسن حال.

أسهمت المساجد والزّوايا في قسنطينة في تطوير الحركة العلميّة "حيث كان لها دورا كبيرا في نشر العلم ووفرة الزّوايا، ومراكز يستقر بها طيلة العام للذين يأتون من خارج المدينة ومن أبرز هذه المساجد المسجد الكبير...، الذي يعود تاريخ تأسيسه إلى زمن الموحد، وهو المسجد المركزي بقسنطينة على عهد الأتراك"[5]، ومن القامات العلميّة التي شهدها ذلك العصر نجد الشّيخ عبد الكريم الفكون، وهو محور الدّراسة التي تسعى إلى رصد إسهاماته الثّقافيّة وتواجهها مع علماء تونس والمغرب.

3-العلامة عبد الكريم الفكون:

أ-(اسمه مولده نسبه): عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن قاسم بن يحيى[6] الفكون[7] القسنطيني [8]، أديب من أعيان المالكيّة في المغرب من أهل قسنطينة "الإمام العمدة القدوة الفهامة الجامع بين علمي الظّاهر والباطن[9] أمير ركب الجزائر وقسنطينة، كان عالما أديبا"[10]، ولد بقسنطينة شهر ذي القعدة عام (988هـ- 1580م) وقد سمي الفكون باسم جده الذي وافته المنيّة ليلة الجمعة فاتح رجب من نفس العام" [11]. وقد عاش الفكون في كنف أبويه طويلا لأنّ

والدّه توفي سنة 1635م. تنتسب عائلته إلى قبيلة تميم العربيّة، أمّا أمّه فهي شريفة الحسنيّة من عائلة محمد بن قاسم الشّريف، وجده هذا لأمّه كان متوليا وظيفة نقيب الأشراف بقسنطينة، كما أنّه كان مفتيا [12]".

كانت عائلته من أعرق العائلات القسنطينيّة، حيث توجد إشارات في عنوان الدّراية فيمن عرف من العلماء في المائة السّابعة ببجاية، إلى أفراد من هذه العائلة تميزوا بالثّقافة والنّبوغ، ومنهم الحسن بن علي بن الفكون الذي يعود إلى القرن السّابع الهجري[13]". وقد اكتسبت هذه العائلة شهرة واسعة[14]"، وتمتعت بنفوذ مالي وسياسي، حيث عرف عنها الإنفاق في أوجه البر والإحسان، ولهم زاويّة تحمل اسمهم كانوا يستقبلون فيها الغرباء والضّيوف وعابري السّبيل وذوي الحاجة من الفقراء، ناهيك عن استقبال العلماء والصّلحاء وطلبة العلم فيه وأوليت لها مكانة ساميّة حيث كانت تشرف على بعوث الحج سنويا[15]".

تتجلّى عراقة عائلة الفكون في العلم والإفتاء وقوة الجاه فيما يلي:

– أوّل من تولى وظيفة الإمامة والخطابة بالجامع الكبير(جامع البصحاء) في العهد العثماني هو عبد الكريم الفكون الجد، بعد سنة 975هـ؛

– أوّل من تولى القضاء في نفس العهد من عائلة الفكون، هو قاسم الفكون؛

– أوّل من تولى إمارة ركب الحج بالإضافة إلى الإمامة والخطابة بالجامع الكبير هو عبد الكريم الفكون الحفيد الذي نترجم له [16]".

ب–شيوخه: تلقى عبد الكريم الفكون مختلف علوم عصره على أيدي شيوخ وأساتذة أجلة. يأخذ عنهم العلم والطّريقة، حتى يستقيم عوده فيكون لنفسه منهاجا يقتدي به تلامذته في هذا الشّأن، فمن بين شيوخه:

– **والدّه محمد بن عبد الكريم الفكون:** تعلّم على يديه في زاويّة العائلة، ثم تولاه كبار شيوخ عصره. [17]

– **سليمان القشي:** أبو الرّبيع سليمان بن أحمد القشي أصله من نقاوس[18] انتقل إلى قسنطينة بعد موت والدّه وهو في سن المراهقة، قرأ القرآن والفقه

والرّسالة ومختصر الشّيخ خليل في الفقه على جد المؤلف عبد الكريم الفكون كانت له رحلة إلى مصر لتوسيع مداركه العلميّة، فانتفع كل من درس على يديه" [19].

-**محمد الفاسي المكنى أبا عبد الله:** قدم من فاس وأصبح من نزلاء مدرسة الفكون جدّ المؤلّف، قرأ عليه القليل من مسائل الإسطرلاب، والقليل من الفرائض[20]"؛

-**أبو فارس عبد العزيز النّفاتي:** الذي قرأ عليه الحساب وبعض الفرائض [21]"؛

-**محمد بن مزيان التّواتي المغربي:** أخذ عنه النّحو والصّرف، وقد أثر على الفكون أيما تأثير، وكان أسلوبه واضحا فثار على الغموض والبدع والانحراف وصفه تلميذه الفكون بقوله "الشّيخ الأستاذ التّحرير النّحوي، آخر المتكلّمين لسان حجة الإسلام [22]".

ج -**تلامذته:** بعد امتلاء جرته من المنبع الصّافي جاء دوره لإفادة الآخرين فجلس للتعليم في زاويّة أسرته منذ أن كان صغيرا، وانتشر صيته فتوافد عليه الطّلاّب من قسنطينة ومن خارجها وربما تكفل بمؤونة بعض الطّلبة وإيوائهم [23]"، فمن هؤلاء نخصّ بالذّكر:

-**محمد بن عبد الكريم ابنه:** كان من الشّيوخ الذين كان لهم علم ودراية بعلوم الشّريعة، فكان الفقه أحدها، ولذا وصف بالعلامة الفهامة[24]؛

-**مهدي عيسى بن محمد الثّعالبي:** الجعفري الجزائري، المتوفى سنة (1080هـ). وقد ترجم الثّعالبي لشيخه، وسجل ما قرأه على يديه من كتب وما أجازه في ثبته المسمى (كتر الرّواة)، وهو أشهر تلاميذ الفكون، قرأ عليه موطأ الإمام مالك، والصّحيحين، والسّنن الأربع، والشّفاء للقاضي عياض. "له عدة مؤلّفات منها تحفة الأكياس، مشارق الأنوار، وغيرها من المؤلّفات[25]"؛

-أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي السّجلماسي المغربي[26]" المتوفي سنة 1090هـ أخذ عنه علم الحديث؛

-أبو زكرياء يحي بن محمد بن عبد الله بن عيسى الشّاوي: المتوفي سنة1096هـ.

4- المكانة العلميّة لعبد الكريم الفكون في عيون الجزائريين: يعد الشّيخ عبد الكريم الفكون من أبرز علماء الجزائر في العهد العثماني، فقد تولى وظائف عدة منها التّدريس، الإمامة، والخطابة، وهي وظائف تقليديّة متوارثة في الأسرة لكن الوظيفة الأساسيّة والتي لم يتولاها أحد من أفراد عائلته من قبل هي وظيفة أمير ركب الحجيج، والتي احتفظت بها أسرة الفكون، إلى غاية سنة 1838م. كما لقب بشيخ الإسلام، وهو لقب يمنح بأمر رسمي، "ويعني أنّ صاحبه يعد مرجعا في الفتوى وشؤون الدّين، ويظهر أنّ اللقب ارتبط كثيرا بوظيفة إمارة ركب الحج[27]".

فقد نال الشّيخ عبد الكريم الفكون إعجاب العلماء، فأشادوا وأثنوا عليه ووصفوه بأليق الأوصاف الدّالة على استحقاقه وعلو مكانته العلميّة والأخلاقيّة وهو ما نجده يتجلى في قول الشّيخ **المقري التّلمساني** عالم قسنطينة وصالحها وكبيرها ومفتيها سلالة العلماء الأكابر، ووارث المجد كابرا عن كابر، المؤلّف العلامة سيدي الشّيخ عبد الكريم الفكون حفظه الله[28]". ومن مدائح المقري لعبد الكريم فكون نجد.

ودام عبد الكريـــــم فردا في العلم والزّهد والولاية
ذا ســـــمـــــــــــو مخلد الفضل والدّراية
بجاه خير الورى المرجي من خصه الله بالعناية

يتّضح من خلال هذه الأبيات المكانة الرّفيعة التي يحتلها الفكون في عصره، بوصفه عالمًا متميزًا وزاهدًا تقيًّا وورعًا، له من الوجاهة ما يؤهله لاعتلاء أعلى المناصب، ممّا استدعى الشّاعر للتوسل إلى الله بجاه النّبي

محمد، ليظل عبد الكريم الفكون دائم الفضل لا يخبو فضله وذكره. لكن الجميل في الأمر" رد عبد الكريم الفكون الثّناء بالثّناء والمدح بالمدح على أبيات المقري بنفس الوزن والقافيّة وبنفس عدد الأبيات.

يا نخبة الدّهر في الدّراية علما تعاضده الرّوايـــة
لازلت بحـــــرا بكل فن يروي به الطّالبون غاية
لقد تصدرت في المعـالي كما تعاليت في العنايـة
بلغت في حسنها النّهايـة من فيك تنتظم الـــلالئ
رقاك مولاك كل مرقـــى تحوي به القرب والولاية[29]"

أشاد عبد الكريم بعلم المقري وشدة ورعه وتقواه فهو نابغة زمانه، وهو من أكثر العلماء دراية وعلمًا، لذلك وصفه بالتّفرد والتّميز، ودعا له بالدّوام والرّعاية كما قال فيه صاحب شجرة النّور **الزّكيّة محمد بن محمد بن مخلوف** "الإمام العلامة العمدة القدوة الفهامة الجامع بين عملي الظّاهر والباطن[30]". ذكره محمد الحفناوي حين رام التّرجمة لابنه محمد الذي سار على نفس الدّرب الذي سار عليه والدّه، فقال: "العلامة الفهامة النّاسك الخاشع[31]".

عادل نويهض ترجم له وذكر بأنّه كان من النّحويين الأدباء والمحدثين، فقد جمع بين مختلف العلوم، ولذا حق لنا بأن نطلق عليه عالم المغرب الأوسط في عصره، وبذلك طارت شهرته شرقًا وغربًا"[32].

رابعًا-إسهاماته العلميّة والفكريّة في إثراء المكتبة العربيّة الجزائريّة والعربيّة عموما.

1-في النّثر: رحل الشّيخ عبد الكريم الفكون وترك وراءه عدة مؤلّفات في شتى المصنّفات، من فقه، وعقيدة، ونحو وتصريف، وسياسة واجتماع، نذكر منها:

أ-المصنّفات الدّينيّة: منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية[33]" وقد ألفه بعد 1045هـ، وهو كتاب لوصف الحالة الدّينيّة والاجتماعيّة

والسّياسيّة للمجتمع في زمانه، كما أنّه مصدر ثري لترجمته ووصف شيوخه وتلاميذه.

✓ محدّد السّنان في نحو إخوان الدّخان: انتهى من تأليفه سنة 1025هـ وهو بيان حكم تناول التّدخين[34]". فقد عالج فيه مسألة التّدخين التي كانت منتشرة وحكم بتحريمها[35]"؛

✓ شرح شواهد الشّريف على الارجوميّة: وفيه التّزم عند ذكره لكل شاهد حديثا مناسبا له؛

✓ الدّرر في شرح المختصر: وهو مختصر عبد الرّحمان الأخضري[36]"؛

✓ سلاح الذّليل في دفع الباقي المستطيل: يدخل ضمن أعماله في التّصوف وهي عبارة عن قصيدة خاضت في هذا المنحنى جاء في مطلعها.

بأسمائك اللهم ابدي توسلا فحقّق رجائي يا إلهي تفضلا

✓ شافيّة الأمراض لمن التّجأ إلى الله بلا اعتراض ويسمى: العدة في عقب الفرج بعد الشّدة؛

✓ سربال الرّدة في جعل السّبعين لرواة الإقراء عدة: (مخصّص للقراءات القرآنيّة) [37]".

ب-مصنّفاته التي تعنى بعلم النّحو والصّرف:

- فتح اللطيف في شرح أرجوزة المكودي في التّصريف؛
- فتح المولى في شرح شواهد الشّريف ابن يعلى؛
- فتح الهادي في شرح جمل المجرادي؛
- فتح المالك في شرح ألفيّة ابن مالك.

2 -إسهامه في الشّعر: لم يؤلّف الشّيخ عبد الكريم الفكون في النّثر فقط بل له إسهامات أخرى في مجال الشّعر خاصّة غرض التّصوف كما هو واضح في قصيدته التي يتوسّل فيها بالله سمّاها إصلاح الذّليل في دفع الباغي المستطيل أوّلها[38]:

بأسمائك اللهم ابدي توسلا فحقق رجائي يا إلهي تفضلا

لقد استخدمها الفكون كسلاح بالدّعاء ضد البغاة، فكان لهذه القصيدة تأثير كبير، فقد نسخها بعض تلاميذه **محمد وارث الهاروني** "اعتمدها ضد عمه الذي بغى عليه واشتكى إلى الفكون منه ويقول الفكون أنّ المغاربة أيضًا قد استنسخوها منه فهي شهيرة بينهم".[39] ولعل أهم إسهامات الفكون في هذا المجال هو ديوانه الذي خصّصه لمدح الرّسول *صلّى الله عليه وسلّم* ومثال على ذلك قوله:

أضاء وجود الكائنات ببعثـــــه وطلعته الغراء من الشّمس أضوأ

هو الغيث أحيا الأرض بعد موته وخاتم كل الرّسل تمت مبدأ

مولده للأرض فخر على الهماء وحق لها بالفخر وهو لمنبـــــأ

5-الصّلات الثّقافيّة مع علماء تونس والمغرب: اتسم النّثر الجزائري القديم خلال العهد العثماني بمميزات خاصّة أهمّها ضعف الأدب وانتشار ظاهرة الصّوفيّة واضطراب الحياة الاجتماعيّة وعدم استقرار الحالة السّياسيّة، وهذا ما أدى إلى ضعف النّثر؛ إلاّ أنّهم لم يهملوه؛ بل أقبلوا عليه وألفوا فيه وظهرت المقامة والرّسالة والخطابة والإجازة والمقاطع الوصفيّة، وبعض الشّروحات الأدبيّة وتقاريرها. **يشير القلقشندي** إلى أنّ فن التّرسل يأخذ معنى إنشاء، وذلك في قوله " فأمّا كتابة الإنشاء، فالمراد بها كل ما رجع من صناعة الكتابة إلى تأليف كلام، ترتيب المعاني من المكاتبات، والولايات والمسامحات والإطلاقات ومناشير الإقطاعات، والهدف والأمانات والأيمان وما في معنى ذلك ككتابة الحكم وغيرها[40]".

أدب الرّسائل في الجزائر خلال العهد العثماني: شهدت الحركة الأدبيّة في الجزائر خلال هذا العهد ركودا لأسباب كثيرة " فالولاة لا يفقهون العربيّة ولا يتذوقون أدبها، بالإضافة إلى ضعف مستوى الثّقافة وإلى منافسة اللّغة التّركيّة أمّا الجزائريون الطّموحون إلى المزيد من العلم والأدب فقد اختاروا طريق الهجرة

إلى حيث يجدون الرّعاية والاعتراف بانتاجهم وفضلهم[41]" ولحسن الحظ بقيت الوثائق تحفظ لنا نماذج من هذه الرّسائل الإخوانيّة والدّيوانيّة.

1-مراسلاته مع علماء تونس:

أ-مراسلته لمحمد تاج العرفين العثماني: إنّ مكانة الفكون في المجتمع الذي كان يعيش فيه سواء داخل الوطن أم خارجه، مكنته من مراسلة كثير من معاصريه خاصّة من أهل العلم، وهو ما يتجلى لنا في المراسلة التي تمت بين الفكون وتاج العارفين العثماني، ويبدو أنّ ذلك تم أثناء قدوم الوفد التّونسي إلى الجزائر، وعقد الصّلح بعد الصّراع الذي جرى بين الأيالتين وكان هذا الصّلح عام 1037هـ، وهذه رسالة تاج العارفين للفكون.

"الحمد لله الذي أطلع الشّمس الطّلعة الفكونيّة من الأفق الغربي ويا عجبًا من طلوع الشّمس منه أمانا للعالم، وجمع فيها ما افترق من شتات العلوم في كل تحرير عالم، وأزاح بها سحب الإشكال وأراح بها من سجق الجهالة المخدرة لوجوه المعاني والأشكال وقيد بها شوارد العلوم، وقرن بها على طريقة التّحقيق بين المنطوق منها والمفهوم أحمده حمد من رغب إليه في استصواب الصّواب وأشكره شكر من علم أنّ شكره سبحانه هو غاية المرغوب..."

أهدي إليك سلامـــــا يفاوح النّد نشـــــره

يلقاك من كل فـــــجّ إذا تلقاك بشـــــره[42]".

يتّضح من خلال هذه المراسلة مدى أهميّة وعلو شأن عبد الكريم الفكون في العلم والمكانة الاجتماعيّة في بلده فهو الفقيه العالم، المربي التّقي.

ب-مراسلته **لإبراهيم الغرياني:** راسل العالم التّونسي الغرياني الفكون قائلا: "الحمد لله وصلّى الله على أكرم الخلق وعلى آله وصحبه الكرام والآجلة يقول العبد الفقير لله تعالى إبراهيم بن عبد اللطيف الغرياني، لما دعاني الحب والتّودد إلى سيدي عبد الكريم الفكون وطلب الدّعاء منه لي ولأولادي أردت أن أكتب له هذه العجالة...

وبعد فيقول العبد الفقير إلى الله تعالى إبراهيم بن سيدي عبد اللطيف الغرياني القيرواني، خديم الزّاويّة الشّريفيّة ذات المعاني، المعمورة لبث العلوم والحديث وإقراء كتاب الله والسّبع المثاني، إنّ أحسن الاعتقاد وطلب الوداد أغراني أن أتطفل على مراسلة الشّيخ الإمام الرّباني، سيدي عبد الكريم الفكون الخطيب الحقاني وأكتب له أبياتا تكون راسخة للوداد، وتبلغي بدعائه غاية المراد بفضل الملك الجواد[43]".

"مؤرّخ فاضل بالفقـــــــه متزر محدث صح في الأصـــــــل
وهو الذي تبري للأسقام دعوتـه وينعش الرّوح بالآيات عن عجل
وفضله شاع بين النّاس مشتهرًا كالبدر يعلو لنا لكن بلا أفـــــل
فمن يشابهه في حسن سيرتـــه ومن يناظره في السّير كـــالمثـل
وقد سمى بعلوم عز مطلبهـــا قد نالـــها بالتّقى كالسّـــادة لأوّل[44]"

6-الصّلات الثّقافيّة بين عبد الكريم الفكون وأبو سالم العياشي المغربي:

شكّلت الرّحلة في طلب العلم أهمّيّة بالغة في تلك العصور" فبقدر ما كانت الرّحلة فحصًا للأغوار، ووصفا للأمصار وتقصيا للحقائق والأحوال الاقتصاديّة والثّقافيّة، فإنّها أيضًا كانت عاملا من عوامل التّزود بالعلوم والمعارف، والأخذ من الشّيوخ والتّتلمذ عليهم، وهذا ما أسهم في انتشار الرّسائل بمختلف أنواعها بين العلماء وطلبتهم[45]". بالحواضر الجزائريّة والمغاربيّة، كما توسّعت وازدادت المصنفات وعقدت المناظرات ومنحت الإجازات، وهو ما حصل بين أبو سالم العياشي وعبد الكريم الفكون. فقد التّقى أبو سالم العياشي[46]" بعبد الكريم الفكون بمدينة طرابلس الغرب[47]" سنة 1046هـ، حيث حج معه فاحتك به وانتفع بعلمه وبركته وولايته، وطلب منه أن يكون من خاصّته وأتباعه، كما وصفه بالعلامة الفهامة النّاسك، الخاشع الجامع بين الظّاهر والباطن[48]".

7-خاتمة

- رغم الظّروف الصّعبة التي عاشتها قسنطينة خلال العهد العثماني، إلاّ أنّها أنجبت أسماء لامعة في العلم، أمثال عبد الكريم الفكون وغيرهم؛
- كانت أسرة الفكون من الأسر المحليّة الكبيرة والنّافذة التي قدّمت خدمات وإسهامات متعددة للمجتمع من خلال الوظائف التي مارستها من إمامة وخطابة وإمارة ركب الحج، كما أنّها اعتنت بالتّعليم من خلال بناء الزّوايا فكانت لهم زاويّة خاصّة بهم قدموا من خلالها إسهامات كبيرة في الحياة الثّقافيّة والاجتماعيّة؛
- تعد شخصيّة عبد الكريم الفكون في العهد العثماني من أبرز الشّخصيات الفكريّة، فقد شاع أمره في عصره حتى قدره بعضهم لعلمه وصلاحه، وقدره آخرون لزهده وتصوفه، وقدره آخرون لسياسته وحكمته؛
- وعلى الرّغم من أنّ مؤلّفاته كانت قليلة إلا أنّها كانت ذات أهميّة قصوى في إعطاء معلومات إضافيّة حول مختلف جوانب الحياة في قسنطينة خلال العهد العثماني؛
- إنّ مكانة الفكون في المجتمع الذي كان يعيش فيه سواء داخل الوطن أم خارجه، مكنته من التّواصل الثّقافي مع كثير من أقرانه خاصّة من أهل العلم في الجزائر وتونس والمغرب وغيرهم؛

أسهمت عدّة عوامل في بناء العلاقات الثّقافيّة وتطورها بين الحواضر المغاربيّة من بينها الموقع الجغرافي، الرّحلات وطلب الإجازات العلميّة، الزّوايا بالمؤسّسات التّعليميّة الوحدة الذّهنيّة، انتشار الطّرق الصّوفيّة، تقارب مناهج التّعليم الثّقافيّة، تقارب العادات والتّقاليد.

قائمة المصادر والمراجع:

1-المصادر :

1-عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تحقيق: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 1، 1987.

2-القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج1.

3-المقري التّلمساني، نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب، تحقيق إحسان عباس بيروت، دار صادر، ج1، ط1، 1968.

2-المراجع العربيّة:

1-ابن قنفد القسنطيني، الفارسيّة في مبادئ الدّولة الحفصيّة، تحقيق: محمد الشّاذلي النّيفر الدّار التّونسيّة للنشر، تونس، د ط، 1968،

2-أبو القاسم سد الله، تاريخ الجزائر الثّقافي، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان، ج1، ط1 1998.

3-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثّقافي، ج2، ص 179/178 الشّركة الوطنيّة للنشر والتّوزيع، الجزائر، د ط، ج2، 1981..

4-أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعيّة السّلفيّة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1986.

5-أبو القاسم سعد الله، محاضرات وأبحاث في تاريخ الجزائر الحديث الشّركة الوطنيّة للنشر والتّوزيع، الجزائر، ط3، 1990.

6-أبو القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السّلف، مؤسسة الرّسالة المكتبة العتيقة تونس، ط1، ج1، 1982.

7-أحمد الفاسي، المنح باديّة في الأسانيد العاليّة، تحقيق محمد الصّغير الحسيني منشورات وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلاميّة، ج1، المملكة لمغربيّة ط1، 2005، ص130.

8-إسماعيل باشا البغدادي، هديّة العارفين أسماء المؤلفين والمصنفين وكالة المعارف استانبول، تركيّة، 1955.

9-محمد طمار الرّوابط الثّقافيّة في الجزائر والخارج، الشّركة الوطنيّة للنشر والتّوزيع الجزائر،ط، 1983.

10-عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، اعتنى به وجمعه وأخرجه مكتب تحقيق التّراث مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط1، ج1، 1993.
11-محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السّلف، مؤسسة الرّسالة المكتبة العتيقة، تونس ط2، ج1، 1983.
12-محمد بن محمد بن عمرين القاسم مخلوف، شجرة النّور الزّكيّة في طبقات المالكيّة تحقيق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان 2003.
13-المهدي شعيب، أم الحواضر في الماضي والحاضر، مطبعة البعث قسنطينة الجزائر ط1، 1985، عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر(من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر) مؤسّسة نويهض الثّقافيّة للتأليف والتّرجمة والنّشر، بيروت ، لبنان، ط2، 1980.

3-الدّوريات والمجلاّت:

1-ابن سالم الصّالح، الحواضر العربيّة شاهدة على التّواصل الثّقافي بين علماء الجزائر والمغرب الأقصى خلال القرنين16م-17م، مجلّة الدّراسات التّاريخيّة والاجتماعيّة الصّفحات{132-139}، عدد 15، 2017.
2-بوزياني عبد القادر، حياة شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون القسنطيني 1073هـ وآثاره العلميّة كتاب فتح المالك في شرح لاميّة ابن مالك، مجلة المجلس الأعلى للغة العربيّة، العدد 30، 2013، الصّفحات من 192-169.
3-محمد مرتاض، عبد الكريم الفكون(من أعلام القرن العاشر الهجري مجلة الفضاء المغاربي، ماي 2016، كليّة الآداب واللغات جامعة تلمسان)، (ع 5-16).

4-الرّسائل الجامعيّة:

1-بلحاج محمد، مخطوط النّجم الثّاقب فيما لأوليا الله من مفاخر المناقب دراسة وتحقيق: مذكرة لنيل شهادة الماجستير، الحضارة الإسلاميّة، إ ش، بن معمر حمد، كليّة العلوم الإنسانيّة والحضارة الإسلاميّة، جامعة وهران، 2017-2018.
2-دنيّة فاطمة، الحركة الأدبيّة في الجزائر خلال العهد العثماني، رسالة مقدمة دكتوراه في الآداب واللّغة العربيّة، إشراف: تبرماسين عبد الرّحمن، جامعة محمد خيضر بسكرة، السّنة (2015/2014).

5-المواقع الالكترونيّة:

بوخلوة حسين، الشّيخ عبد الكريم الفكون القسنطيني وإنتاجه الفكري.http://www.asip.covist.dz/em/article.10801

8. هوامش:

[1] – دنيّة فاطمة، الحركة الأدبيّة في الجزائر خلال العهد العثماني، رسالة مقدّمة دكتوراه في الآداب واللّغة العربيّة، إشراف تبرماسين عبد الرّحمن، جامعة محمد خيضر بسكرة، السّنة (2015/2014)، ص 206.

[2] – ابن قنفد القسنطيني، الفارسيّة في مبادئ الدّولة الحفصيّة، تحقيق: محمد الشّاذلي النّيفر الدّار التّونسيّة للنشر، تونس، د ط، 1968، ص 165.

[3] – طمار محمد، الرّوابط الثّقافيّة في الجزائر والخارج، الشّركة الوطنيّة للنشر والتّوزيع الجزائر، ط، 1983، ص 90.

[4]– أبو القاسم سد الله، تاريخ الجزائر الثّقافي، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان، ج1 ط1 1998، ص174.

[5] – المهدي شعيب، أم الحواضر في الماضي والحاضر، مطبعة البعث، قسنطينة الجزائر ط1، 1985، ص 332.

[6] – ينظر، عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر(من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر) مؤسّسة نويهض الثّقافيّة للتأليف والتّرجمة والنّشر، بيروت ، لبنان، ط1980،2، ص 254.

[7] –التّفكن: التّعجب والتّندم على ما فات، وقيل هو التّلهف، ينظر: تاج العروس، مادة فكن.

[8] – القسنطيني: نسبة إلى مدينة قسنطينة الواقعة في الشّرق الجزائري.

[9] – محمد بن محمد مخلوف، شجرة النّور الزّكيّة في طبقات المالكيّة، المطبعة السّلفيّة، ج 1، القاهرة، مصر، د ط، (1349 هـ) ص 309.

[10]–إسماعيل باشا البغدادي، هديّة العارفين أسماء المؤلفين والمصنفين، وكالة المعارف استانبول، تركيّة، 1955، ص 216.

[11]–عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تحقيق أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 1، 1987، ص 51.

[12]–أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعيّة السّلفيّة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1986، ص 57.

[13]–أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعيّة السّلفيّة، ص 37.

[14]–يذكر الدّارسون لسيرة هذه الأسرة أنّها ظلت قائمة على ركب الحج إلى الحجاز لسنوات متتاليّة والمعلوم بالضّرورة أنّ خطة إمارة ركب الحج لم تك تسند إلا لأمثل عالم، تراعى فيه مقاييس أهمّها التّبحر في العلم والاستقامة، لأن سيلتقي علماء آخرين من مختلف البلاد الإسلاميّة وقد تقع مناظرات معهم، وهو ما يتطلّب تبصرا بالفقه والعقيدة واللّغة والأدب والشّعر.

[15] –محمد مرتاض، عبد الكريم الفكون (من أعلام القرن العاشر الهجري، مجلة الفضاء المغاربي، ماي 2016، كليّة الآداب واللغات جامعة تلمسان)، (ع 5–16)، ص 05.

[16] –عبد الكريم الفكون، تحقيق: أبو القاسم سعد الله، ص 49.

[17] –ينظر، أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثّقافي، ج 1، ص 522.

[18]– نقاوس، تابعة لولاية باتنة جنوب غربها.

[19]–عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، ص 60.

[20]–المصدر نفسه، ص 61.

[21]–المصدر نفسه، ص 60.

[22]–المصدر نفسه، ص 57.

[23]–ينظر: عبد الكريم فكون، منشور الهداية، ص 203–204، وقد يساعده في ذلك بعض أصحابه ابن ثلجون، فقد أعان الفكون زمن محنته ومرضه كما في منشور الهداية، ص 208.

[24] – أبو القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السّلف، مؤسّسة الرّسالة، المكتبة العتيقة، تونس، ط1، ج1، 1982، ص 166.

[25] –عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، اعتنى بع وجمعه وأخرجه مكتب تحقيق التّراث مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط1، ج1، 1993، ص 598.

[26] –محمد بن محمد بن عمرين القاسم مخلوف، شجرة النّور الزّكيّة في طبقات المالكيّة تحقيقّ: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص 314.

[27] –بوزياني عبد القادر، حياة شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون القسنطيني 1073هـ، وآثاره العلميّة كتاب فتح المالك في شرح لاميّة ابن مالك، مجلة المجلس الأعلى للغة العربيّة، العدد 30، 2013، الصّفحات من 192–169، ص 176..

[28] –المقري التّلمساني، نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب، تحقيق: إحسان عباس بيروت، دار صادر، ج1، ط1، 1968، ص 955...

[29] –عبد الكريم الفكون، منشور الهداية، ص213، 214.

[30] –محمد بن محمد بن عمرين القاسم مخلوف، شجرة النّور الزّكيّة في طبقات المالكيّة تحقيق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 2003، ص301..

[31] –محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السّلف، مؤسسة الرّسالة، المكتبة العتيقة تونس ط2، ج1، 1983، ص 166.

[32] –عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من عصر الإسلام حتى العصر الحاضر مؤسّسة نويهض للتأليف والتّرجمة والنّشر، بيروت، لبنان، ط1980،2، ص 254..

[33] –حققه: أبو القاسم سعد الله وطبع في دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1987م...

[34] –أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، ص 153.

[35] –بوخلوة حسين، الشّيخ عبد الكريم الفكون القسنطيني وإنتاجه الفكري، ص 71 http://www.asip.covist.dz/em/article.10801..

[36] –منشور الهداية، ص 72.

[37] –عبد الكريم الفكون، منشور الهداية، ص 205.

[38] –أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثّقافي، ج 2، ص 148.

[39] –المرجع نفسه، ص 149.

[40] – القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج1، ص54.

[41] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثّقافي، ج2، ص 179/178، الشّركة الوطنيّة للنشر والتّوزيع، الجزائر، د ط، ج2، 1981..

[42] – عبد الكريم الفكون، منشور الهداية، ص 2015.

[43] – عبد الكريم الفكون، منشور الهداية، ص 218–219.

[44] – المرجع نفسه، ص 218–219.

[45] –ابن سالم الصّالح، الحواضر العربيّة شاهدة على التّواصل الثّقافي بين علماء الجزائر والمغرب الأقصى خلال القرنين 16م–17م، مجلة الدّراسات التّاريخيّة والاجتماعيّة الصّفحات{132–139}، عدد 15، 2017، ص 132.

[46] –أبو سالم العياشي المغربي: ولد في 1627م وتوفي في 1679م، رحالة فقيه مغربي هو صاحب الرّحلة الشّهيرة (ماء الموائد) يعتبر من أبرز أعلام المغرب والمشرق خلال القرن الحادي عشر هجري– ويكيبيديا..

[47] –لقد كانت طرابلس الغرب محطة مهمة لتوقف قوافل الحج الجزائريّة والمغربيّة، وهناك يحدث التّلاقح الثّقافي بين طلبة وعلماء البلدين...

[48] –أحمد الفاسي، المنح الباديّة في الأسانيد العاليّة، تحقيق: محمد الصّغير الحسيني منشورات وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلاميّة، ج1، المملكة لمغربيّة، ط1، 2005، ص130.